

لذة الإيمان

إهداء

لكل مسلم صادق يريد الوصول إلى طريق الحق ومحبة
سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه ..

حقوق الطبع محفوظة

دار الإمام إبراهيم للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم التصوف وأهل الله

حول كلمة الصوفية

١ . ١

إن الكتاب والمؤرخون اختلفوا في نشأة التصوف الإسلامي وفي معناه، وقد قالوا أن كلمة (التصوف) يرى البعض أنها اشتقت من كلمة (سوفيا) اليونانية بمعنى (الحكمة) والبعض الآخر يقول أنها مشتقة من (صوفة) وهو اسم شخص كان يعكف على ذكر الله وعبادته عند بيت الله الحرام، وثالث يرى أنها مشتقة من (صوفان) بمعنى أنها تبين مايمتاز به الصوفي من زهد في المآكل، ورابع يرى أنها من (الصفاء) وخامس يقول أنها نسبة إلى (أهل الصفة) وهم الفقراء الذين كانوا يصطفون في مسجد رسول الله ﷺ عقب كل صلاة.

على أن ابن وازن القشيري قد أجمل تلك الآراء كلها في قوله:
إن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصره
بتسمية سوى (صحبة رسول الله) إذ لا فضيلة فوقها، فقليل لهم
(الصحابة) ولما أدرك أهل العصر الثاني سُمى من صحب
الصحابة (بالتابعين) ورأوا في ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن
بعدهم (بأتباع التابعين) ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقليل
لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين (الزهاد والعباد)
فلما ظهرت البدع وحصل التداعي، انفرد خواص أهل السنة
المراعون أنفسهم مع الله الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة
باسم (التصوف) واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين
من الهجرة.

معنى كلمة الصوفية

٢ . ١

أما عن حقيقة كلمة (الصوفية) فإن الإمام فخر الدين الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رضي الله عنه وضح حقيقة قد اختلف فيه الكثير من المؤرخين، حيث قال رضي الله عنه:

قيل أن الصوفية تسموا بهذا الاسم للبس الصوف، وهذا خطأ لأننا يجب أن نستثنى منهم الذين لا يرتدون الصوف.

وقيل لأنهم يصطفون للذكر، وهذا أيضا خطأ لأننا يجب أن نستثنى منهم الذين يذكرون في حلقات.

وقيل نسبة لأصحاب الصفة، وهذا أيضا خطأ لأن أصحاب الصفة صحابة وقد أنزل الحق فيهم آيات والصوفية ليسوا بصحابة.

فالصوفية أصلا اسمهم (أهل الله) أي (أهل الاشتغال بالله)

لأنهم منشغلين دائما بذكر الاسم (الله).

والمعروف والمشهور أن العباد سيمثلوا بين يدي الله للحساب على كل شئ، وفي هذا يقول تبارك وتعالى ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾^١ فقد أنعم عليك سبحانه بنعمة البصر، وستسأل عنها، ماذا فعلت بها؟ وعن اليد والأذن والرجل وهكذا كل النعم، فقلوه سبحانه ﴿لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ بمعنى أن أى نعيم تبارك وتعالى أنعم به على الصنف البشرى سيُسأل عنه ويحاسب عليه، وهذا الحساب حساب دقيق جدا، ولذلك اعتمد الصوفية على أنهم يكونوا مشغولين دائما بالله، معتصمين بجبل الله، ذاكرين، منشغلين بالصلاة على الحبيب وآله، يتقربوا إلى الله بالنوافل التي شرعها رسول الله ﷺ، فمن هذه العملية وهي (الاشتغال بالله) أطلقوا عليهم اسم (أهل الله) فهذا هو معنى التصوف الحقيقي.

النبي ﷺ أول المتصوفين

٣ . ١

والنبي ﷺ كان أول المتصوفين، حيث أمرَ بذكر الاسم (الله) في أوائل سور القرآن الكريم وقبل التشريع بسنوات عديدة، حيث قال تعالى ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً﴾^٢ فكان ﷺ يختلي بنفسه في غار حراء الليالي الطوال، فماذا كان يفعل في تلك الليالي؟ إلا ذكر الاسم (الله) وهو ﷺ أول من ينفذ الكلام الإلهي، وبمعنى آخر أن الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه وآله كان يذكر هذا الاسم وبشدة، وبعدهما شاء الله من الزمن كان الإسراء وفي الإسراء فرضت الصلاة، وفي السنة الثانية الهجرية فرض الصوم، وتوالى بعد ذلك فرض باقى التشريع بأكمله، فيكون النبي ﷺ مأمور بالذكر قبل التشريع بسنوات، فما بالكم نحن؟!!!.

التصوف والصحابة

٤ . ١

واعلم يا أخى أن الله تعالى حين أمر عباده أن يذكره طلب الكثير من الصحابة من حضرة النبي ﷺ أن يتعلموا كيف يكون الذكر بالأسماء والأعداد التي يذكرونها؟ فأبان لهم ﷺ أن أفضل الذكر إمّا أن يكون بالاسم الدال على الذات وهو (الله) أو باسم النفي والاثبات وهو (لا إله الا الله) وإمّا أن يكون سراً أو جهراً، أو يكون جامعاً لكلا الحالتين كما قال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾ وبيّن ﷺ الذكر السر في قوله الشريف عن سعد بن مالك قال: قال رسول ﷺ ﴿خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى﴾ ويوم يجمع الله الخلائق لحسابهم وتأتى الحفظة بما حفظوا وكتبوا، يقول الله لهم: انظروا هل بقى له من شئ؟ فيقولون: ربنا ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول

الله تبارك وتعالى له: إن لك عندي خبيئاً لا تعلمه وأنا أجزيك به، ألا وهو الذكر الخفى، فاختر الصديق الأكبر رضي الله عنه أن يعلمه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه الذكر الخفى والذكر الجهرى، فلقنه رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه (اسم الذات) بالسر وهو الاسم (الله) واسم النفى والاثبات بالجهر وهو (لا إله الا الله) فدأب عليهما رضي الله عنهما ليكون جامعاً بين السر والجهر، والظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة، والقول والفعل، فكان من إخلاصه رضي الله عنه وشدة مراقبته أن احترق كبده وقد اشتهر عنه أنه كان يشم من نفسه رائحة الكبد المشوى، وشُهر من وصفه الذاتى ما رُوى فى مجمع الزوائد عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كان غزير الدمعة وقيد الجوانح - أى محزون القلب - كأن الحزن قد كسره وضعفه، ويُرى عليه الإنكسار وشدة الخوف من الله، شجى النشيد، يعنى أن من يسمعه وهو يقرأ يحزن لسماع قراءته لشدة إخلاصه ، وقد قال رضي الله عنه (لا آمن مكر الله ولو احدى قدمي في الجنة)

وقال أيضا عند سماعه الحديث الشريف ﴿الصلاة في أول الوقت في رضوان الله وفي وسطه في رحمة الله وفي آخر الوقت في عفو الله﴾ لأن أكون في رضوان الله تعالى خير لي من أن أكون تحت عفو الله، وهكذا كل من سلك على مبدئه، وشرب من مشربه رضى الله تعالى عنه كما قال تعالى ﴿وآخرين منهم لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء^٣.

ظهور التصوف

٥ . ١

وممن سار على درب الصديق وحاز هذا الفضل والفخار (السيد محمد بهاء الدين) الذى عُرف عنه أنه (نُقش) الاسم على قلبه، ولُقّب كل من اتبعه (بالنقشبندية) وتفرعت وكثر فيها الأفاضل واشتهر فيها الحزم والعزم وإن أردت أن تعرفهم فاضلا عن فاضل فاتّبع أسانيدهم تجدها كسلسلة المحدثين

والقراء، واعلم أن من مقتضيات حكم العليم الخبير سبحانه وتعالى أن جعل مقام أهل الإحسان أعلى المقامات وهم أهل الله تعالى وخاصته من خلقه، ولذا جعل نشر مبادئهم على اثنين لا ثالث لهما بين جميع المسلمين على الإطلاق، وهم (الصديقية) الذين أصلهم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه و(الخلوتية) الذين أصلهم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأصل (الخلوتية) وسندها ومصدرها أن الإمام علي كرم الله وجهه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها عليّ عبادة وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله﴾ وفي رواية: ﴿يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله﴾.

وقد ورد في الأثر أن الإمام على كرم الله وجهه قال لحضرة النبي صلوات ربي وسلامه عليه: كيف أذكر يا رسول الله؟

فقال النبي ﷺ: غمّض عينيك واسمع عني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع، ثم قال النبي ﷺ: لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلى يسمع، ثم قال على: لا إله إلا الله كذلك والنبي ﷺ يسمع.

هذا وإن كان ﷺ قد أعطى العهد لكثير من الصحابة كسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ وسيدنا عبد الله بن مسعود وسيدنا سلمان الفارسي وسيدنا أبي هريرة وسيدنا حذيفة بن اليمان، وغيرهم لو استقصيناه لضاق بنا المقام.

ولكن لم يشتهر قديما وحديثا إلا ما كان لسيدنا الصديق وهم (النقشبندية) وما كان للإمام على كرم الله وجهه وهم (الخلوتية) وإن كان عن الإمام على كثر الفروع بالنسبة لأولاده، كما أخذ أيضا العهد عن السيدة زينب بنت الإمام على كرم الله

وجهه السيدة شعوانة البصرية والسيدة ریحانة الحبشية والسيدة
نفیسة المرضیة ومیمونة البدویة وعابدة الكرديّة، ومرجعهن جميعاً
إلى الإمام علیّ كرم الله وجهه.

وهذا هو سبب العهد الذي لا يكون إلا عن الأشياخ العارفين،
ثم تعددت (الطرق) باشتهار الأفاضل البارزين في كل عصر
كالرفاعية والقادرية والأحمدية والبرهانية والدسوقية والشاذلية
والبيومية والإدرسية والتيجانية، ومرجع الجميع إلى الإمام علی
كرم الله وجهه وهي المشتهرة الآن (بالخلوية).

وعن كيفية الذكر بالاسم (الله) فقد عرفت أن سيدنا رسول الله
ﷺ لقن الصديق ﷺ اسم الذات، فكان يذكره بالنفس سراً،
وبعدها يأخذ القلب يتحرك بحركة النفس، وبعدها يكون الذكر
بالقلب تحرك النفس أم لم يتحرك، وهذا هو أصل (الطريقة
الصديقية النقشبندية).

ثم أنه ﷺ علم الأمة المحمدية الإستغفار مئة مرة في اليوم واللييلة بياناً لقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ ولا زال فينا ﷺ، وفينا قوله الشريف الذى يرويه البخارى وغيره ﴿يا معشر الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم واللييلة مائة مرة﴾ فكان الإستغفار ضروريا ليكون كالطهارة للدخول على الذكر ثم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ليكون أدعى للقبول لما ورد فى ذلك من قوله الشريف ﴿ثم صلوا على﴾ ومن قوله ﴿من صلى على عشرين﴾ ومن قوله ﴿قولوا اللهم صل على محمد﴾ الحديث الذى كان هو بياناً لقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ ثم الجهد والاجتهاد فى القيام بالأعمال الشرعية وخاصة الصلوات فى أوقاتها، والبعد عن محارم الله عز وجل بالقدر الممكن للبشر ومصاحبة الصالحين والعلماء العاملين وحب الخير وتجنب الفساد وأهله، وهكذا من الوصايا التى

يرويه الشيخ العارف لمريديه وأن يرشده إلى تلاوة القرآن وسماع العلم وأن يجد ويجتهد في الدنيا لنيل الخير في الآخرة وأن يتخلّق بالأخلاق الفاضلة وأن يتجنّب الرذيلة، كل ذلك عند تلقين العهد.

أول دار للصوفية

٦ . ١

أما عن أول دار في الإسلام جمعت الصوفية، فيروى لنا المقرئ في الخطط التوفيقية:

إن أول من اتخذ بيتا للعباد والزهاد (زيد بن صوحان بن صبرة) وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارة ولا غلال فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم ومشرب وملبس وغيره، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تبارك وتعالى عنه.

وأما عن أول دار للصوفية بنيت في مصر فهي التي عرفت باسم
(الخانقاه) ويقول المقریزی أيضا:

أن صلاح الدين الأيوبي أمر بتحويل دار (سعيد السعداء) أحد
الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي
إلى (خانقاه) لفقراء الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة ووقفها
عليهم سنة ٥٦٩هـ وولى عليهم شيخا ووقف عليهم بستانا
وجعل لها أوقافا خارج القاهرة.



فهرس الآيات

م	الآية	السورة
١	٨	التكاثر
٢	٨	المزمل
٣	٣، ٤	الجمعة
٤	٣٣	الأنفال
٥	٥٦	الأحزاب

المحتويات

م	الموضوعات	الصفحة
1	حول كلمة الصوفية	3
2	معنى كلمة الصوفية	5
3	النبي ﷺ أول المتصوفين	7
4	التصوف والصحابة	8
5	ظهور التصوف	10
6	أول دار للصوفية	15